

# الكشف عن الوطن الداخلي

## حوار مع الفنان محمد القاسمي

ان تدخل مساحات الابداع الضوئية ، يعني أن تتحمل مسؤولية الاختيار ، وكل اختيار ، واع وحقيقي هو حلم وطريق الى الحلم ، الذي يجسد حركة التحول ضمن منظور ابداعي يقتحم كل المراحل الجافة ليصل الى معانقة ( تعاسة ) الآخرين .

ان كل تواجد عاطفي مع ذوات الآخرين يبقى معانقة مجانية و سطحية تتولد عنها تنازلات لا على المستوى الابداعي فحسب ولكن على مستوى رحلة التجربة - المعاناة - والمستوى الايديولوجي أيضا .

وداخل هذا المنعطف البلوري تتناسل شارات الاصلاحية كمؤشر للانحراف والسقوط داخل بورصة البورجوازية . اذ يتحول المنظور الفني الى فرجة تشكيلية سكونية يتحول فيها القماش واللون والاطار والاختطأ الى ابداعية متواطئة يقف خلفها المبدع شاهد زور عن زمانه مدجنا وشحاذا خارج دورة التاريخ .

### بيان للزمن المباح :

« ان الخلق التشكيلي المعاصر في المغرب يريد أن يتجذر في الطموحات الوطنية والعربية وكذا في التناقضات التي تعيشها مجتمعاتنا دون اهمال التطورات التي تجرى في الفن والفكر .

ان هذا الخلق لا يريد أن تكون له أية وظيفة عدا المشاركة في الكفاح العام للوطن العربي عن طريق الآثار الفنية نفسها وعن طريق العمل الابداعي المشرف الخلاق الذي يحمل آفاق المستقبل . فالاختيار واضح ، انه المساهمة الفعالة المحددة في كل هذه الواجهات واختيار وسائل تغيير الواقع المرفوض .

\*\*\*

وبفضل استقامة قلبه من الفنانين المبدعين المغاربة لا يمكنهم النهرب من المشاكل الحيوية الاساسية وبالتالي فان الرتابة والتكرار والتهديد تنفضح لانها لن يعود لها أن تعتمد على مركب الصمت والفراغ . »

## شاهد هذا المساء

محمد القاسمي : يرسم للتعبير عن هذا الجحيم الذي يصله دوماً بذوات الآخرين ، يركب فرساً نارياً ويدخل طقوس « التعاسة » واكتشف أنه يسرق لون البحر أو يرسم بدمه ،

### الحلم على قماش الورق :

من أين يبدأ الرهان ضد الصمت ؟

أو ضد الكلام الباح ؟

أو ضد الموت ؟

أبجدية الحلم تأتي شهادات مضادة تشربت بأملح المحيط . عبرت أزمنة التهويمات التي تقف عند رجات الانفعال العاطفي لتصل الى حدود هذه الرؤيا الثالثة .

الرهان يبدأ عند ما يمتلك المبدع ايمان بدخول المغامرة ، لكنها تبقى مغامرة رابحة ويبقى الاحساس بها أشبه بصبوة الى الانعتاق ، ويتحول الصمت آنذاك الى مؤشر يميل نحو النكوص : يسقط الصمت ويسقط الموت . عندما يتم بناء أبجدية الحلم على قماش أزرق .

الحلم هنا يصير **جميعاً** وعندها عند ما تتملكه القدرة على اكتشاف أبعاد الرؤيا الثالثة - ( وتجاوز الاجترار الذاتي ، وأيضاً تجاوز المنظور الفني الذي يأخذ أنفاسه من مناخات اتجاهات ابداعية مستهلكة ، مستلبة - تربت في كفالة التوجيه الكولونيالي . )

الحلم هنا يصير مسافة أخرى ، ليست موازية للاحباط الذي ينخر الكثير من الابداعات - ولكنه أيضاً بديل يفضح الانسحاق والتورط في مؤامرات الصمت .

على امتداد مسافة من مرحلة القاسمي الابداعية - ( الحلم على قماش أزرق ) يتداخل العنف مع سبق الاصرار بمحاولة تملك اعدائية ، يعطيها الازرق مسحة هادئة ان لم نقل ( رومانسية ) .

« هذه المرحلة تجسد عنفا متوهجا ضمن مسار تجربة بأكملها لكن اللون الازرق يعطي للمنتقى فترة استراحة عينية » .

### الكشف عن الوطن الداخلي

ينتهي الحلم في مقدمة الرحلة الزرقاء ، ويبدأ الدخول الى حالات التوقع المكشوف دون تأشيرة .

( حتى على مستوى ترتيب اللوحات على الجدار . المرحلة الزرقاء يليها الاعمال الجديدة )

لماذا لا أطرح هنا سؤالاً ؟

الالوان تختلف ، الفاصل الجغرافي بين الازمنة اللونية تصفم العين - عرس مهرب من أنابيب الجواش - لكنه يبقى ذا مناخ فجياعي ( نوع من الدراما التشككية ) :

أوصال جسد مقطوع .. ملامح أصابع تنبت في عمق كومة من الاعضاء ،  
للأصابع دلالات الشاهد - أو دلالات الحضور أو دلالات الرفض لكنها تظل  
مجزوءة ومنفية عن وظيفتها ( العضوية ) في أرضية القماش . ان لم أقل على  
أرضية طينية العمق .

هذا التفجير المقصود على المستوى التشكيلي يمنحك صك الانتماء يضرب  
حساسياتك في العمق .

أنت لست مطالباً بتأسيـرة كي تدخل فـجيـعتك .. تجزؤك .. حزنك ..  
رفضك .. شهادتك ..

بهذا يصبح عالم القاسمي بلدا ندخله دون خارطة أو دليل .

أنت مطالب اذن ، بتجاوز زمن الفجـيعة والتجزى، والحزن - زمن الرفض  
والشاهد أيضا .

أنت مطالب اذن ، بتجاوز زمن الفجـيعة والتجزى، والحزن - زمن الرفض  
هذه العلاقات يصير لضربة فرشاة المبدع ثمن أيضا . لكنه ثمن خارج المعاملات  
البنكية .

### اعادة تركيب للصيغ

عن جيل 68 الذي اغتصب الحلم (اللاشرعي) لباريس قال جان لوى باروا،  
« لقد كنت بينهم ولم أملك سوى أن أكون بينهم . وماذا سيكون مصيرى  
ان اكتشفت أنني تركت وحدى ومضت الاجيال عبرى ، مضوا كلهم مدانين  
أو مذبذبين ، على حق كانوا أو على خطأ . ان ما يحدث الآن لا يمكن أن يحدث  
ثانية وسرعان ما سأكتشف أنني أنا الذى تركت في منظور فارغ ذى مساحات  
ظلال جافة ، وأبعاد لا نهائية .. عاجز حتى عن اعلان براءتي لنفسى ، فلا  
وجود لمبرر كاف لانتاجي الفني ، كما اني غير مقتنع بفن لا يحدده ارتباطا  
بالآخرين أو انفعال بهم .

وهل نقف احتراما أو ننحني مستسلمين لجيل يقود نفسه دون قيادة  
منا نحن الجيل الذى سبقه ، بغير أن نمحه انشودته أو موسيقاه أو لوحته  
أو قصيدته أو حتى أرضية ثقافية صلبة يقف عليها .

ان نكرانه لنا ليس اكثر من تأكيد لطلبه العادل وهو أن نقوده فكريا  
لنرجع احترامه لنا هذا أو ننزوى كالارانب في جحورنا معلنين جبننا أو  
انانيتنا على حد سواء أو في جملة واحدة « افلاسنا » فقط بصدق التجربة  
وانفعاله بها وايما به سلامة موقفه . بهذا فقط يستطيع الفنان أن ينتصب  
من سقطته وان يجدد نفسه معلنا عن ذاته من جديد ) .

### مقدمة الحديث

قبل آخر محطة من هذه الرحلة ،

أريد أن أثبتن بعض مواقف التشكيليين المغاربة . أنا لا أشك في سلامة  
تركيب ( البيان ) ولكن التجربة كشفت عن ممارسات أخرى .

1) لماذا لا يجربون محنة الخروج عن طقوس قاعات العرض الدافئة انني لا تصير اللوحة فيها الا تكميلية للمناخ التزييني ؟  
- خروج - جامع الفناء - 16 نوفمبر كان مجرد صبوة مفتعلة سرعان ما اعلفت صك ثوبتها في بورصات البورجوازية .  
لماذا لم تستمر التجربة . اذن ؟

ليس معنى أن أي ( تمرد ) ابداعي يحدث في المغرب خارج الطقوس البورجوازية يجسد وعيا موقفا حادين لبناء مستقبلي يتجاوز اغراءاته ووسائل كبجه . وانما هي مادة وقائية ذات بعدين .  
1) مبادرة ( جامع الفناء . 16 مارس ) - ولقد رفع هذا الشعار في ملتقيات عديدة - ذهب البعض لحد القول ، أنها من أولى الخطوات في العالم لاعطاء التشكيل بعدا جماهيريا ، وهنا يكمن خطر هذا ( التمرد ) المفتعل عند ما يصبح - قميص عثمان -

2) هذه المبادرة خدمت عن قصد أو عن غير قصد العقلية البورجوازية ما دام زمن الكلام المباح قائما وشرعيا .  
وعلى مستوى آخر - مستوى العرض والطلب - أعطتها مسافة نفس طويل انطلاقا من أن ( التمرد ) التظاهري كشف عن نكوصه ، في الفواصل التي كانت تنقف بين المتلقي العادي والمنظور الفني . ( نوعية الخطاب والرقم المالي وهذه حقيقة لا يمكن تجاوزها .

على ضوء هذه التجربة ، عمدت البورجوازية الى تغيير وسائلها والتشبث بملكية البورصة التشكيلية والتوجيه الموضوعي ، وأحيانا يتم على حساب رؤية « المبدع » بتعسف وجراة .

هذه ظاهرة خطيرة تكرسها القاعات الخاصة للعرض التي تنبعث وبذكاء مدروس بين أحياء العاصمتين الادارية والاقتصادية التي يتحول فيهما الابداع الى علبة تصبير مستهلك من طرف البورجوازية المحلية والجالية الاجنبية ما دامت يشكلان زاويتي الاحتكار الثقافي .

- قاعة بنية ب س - قاعة النادرة - المعمل - نظر - لوسافوا ... الخ .  
ولتغطية موقفها وتبريره تحاول أن تفتعل صراعا يائسا ومكشوبا بين ما يسمى بالقاعات ( الوطنية ) التي يملكها مغاربة والقاعات التي يملكها غير مغاربة .

أقول ما الفرق بينهما ما داما يكونان الفاصل ( اللاشعري ) لخلق ابداع جماهيري يرتبط فعليا بهوم الآخرين .

ولقد دفعت الجراة بعض المقتنين الى التفكير في فتح قاعات أخرى للاتجار في الاعمال التي سبق شراؤها في ( زمن النهب ) .

هنا تحضر كلمة قالها السيد كارلتون وهو صاحب كالوري كبير خاص بلوحات الكلاسيكيين .

- سؤال : لماذا الاحتفاظ وبعناية على اقتناء التجربة الكلاسيكية فقط ؟  
باستطاعتك أن تفتح أروقة أخرى للتشكيل المعاصر !

- جواب : « هل تريد أن يقول الزبناء بأن السيد كارلتون قد جن ؟  
لقد عودتهم على دخول هذا المناخ . وفي باريس تتواجد قاعات عديدة للعرض  
تختلف تخصصاتها حسب ذوق زبائنها » .

ترى هل هو آثار مرض معد ينقله لنا الريح الآتي من الغرب العجوز  
ما دام الغرب كان دائما صبوة الحلم للكثير من المبدعين ، وانبهارا يخلق  
لديهم احباطا وعقدة التلمذة ؟

اننا هنا بحاجة لخلق علاقات أخرى .

ولا أريد هنا أن تكون هذه (المقدمة) على حساب (القاسمي ولكنني  
أطرح سؤالا لا بد منه ، هل يخرج القاسمي نفسه عن اطارها ؟ . يبقى هو  
شخصيا مطالب بالجواب الفعلي .

### شهادات للدلالة

(1) زائرة فرنسية لمعرض القاسمي : لو رأيت نفس اللوحات في باريس  
لقلت : لن تكون سوى صوتا من العالم الثالث (المغرب) .

(2) فنان مغربي آخر : يبقى القاسمي المبدع الاقل دينا (بسكون الياء)  
من باقي التشكيليين المغاربة .

أجرى الحوار : نور الدين محمد الانصاري

مراكش